الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عهد الله

الحلقة الخامسة عشر

مقدمة البرنامج.....

مؤثرات.....

صوت (1): ما هذا الذي سمعنا الناس يتحدثون فيه يا عمار؟

عمار: ماذا يقولون بالله عليك؟

صوت (1): يقولون: أنك نلت من رسول الله وذكرت آلهتهم بخير.. فهل هذا صحيح؟

عمار: " في قلق وخوف " قل لي: هل بلغ الخبر رسول الله؟

صوت (1): بلى.. قد بلغه..

عمار: وماذا قال في شأني؟

صوت (1): قال حين سمع هذا الكلام: كلا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه.

عمار: إذاً أدخلُ إليه وأنا آمن؟

صوت (1): يبدو لي أنك ستكون آمناً.. لكن لا تنسى أن تلم بي حين عودتك من عنده وتقول ما جرى بينك وبينه.

عمار: أفعل إن شاء الله.

نقلة موسيقية.....

صوت (1): هيه يا عمار.. قل لي: ماذا وراءك؟

عمار: لا أخفي عليك أنني جزعت جزعا شديدا قبل أن أدخل على النبي ليحكم في بما يشاء.. فقد كنت في حال شديدة من اليأس والكآبة.. لكن ماذا أفعل وقد شهدت بعيني هاتين سقوط أبي وأمي رحمهما الله شهيدين تحت نار التعذيب والقتل.

صوت (1): لكنك لم تقل ماذا جرى بينك وبين رسول الله؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

عمار: حين دخلت عليه كنت أقدّم رجلاً وأؤخّر أخرى فاستقبلني على سجيته الهادئة ونظر إليّ بعينين عاطفتين رقيقتين حتى لقد خيل إلي أنني لم أرتكب ذنباً ثم قال: ما وراءك يا عمار.

صوت (1): وماذا قلت له؟ أسرع فإنك تثير القلق في نفسي.

عمار: قلت: شر يا رسول الله.. ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير.

صوت (1): وماذا بعد؟

عمار: صمت قليلاً ثم بادرني بالقول: فكيف تجد قلبك؟ قلت: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان.

صوت (1): حسن وماذا قال لك حينذاك؟

عمار: " وكأنه يحدث نفسه " بأبي وأمي يا رسول الله: ما أحلمك وأكرمك.

صوت (1): ألا تقول لي بم أجابك؟

عمار: وبماذا يجيب الحليم الكريم؟ لقد قال لي: فان عادوا فقد. ونزلت كلماته عليه السلام برداً وسلاماً على قلبي وأحسست كما لو أن ثقلا شديدا قد نزل عن كاهلي. ثم كانت المفاجأة التي جاء بها حكم الله.

صوت (1): ماذا تقول؟ هل نزل فيك وحي من السماء؟

عمار: اي والله.. وهذا مما أفرخ روعي وزاد من طمأنينة نفسي.

صوت (1): فماذا حدث.. قل لي يا عمار أنك تشد انتباهي أكثر فأكثر.

عمار: لم يكد يقول لي ما قال حتى رأيته عليه السلام يتفصد جبينه عرقا ثم انقضت لحظات عادت بعدها نفسه اليه وراح يتلو ما أوحى إليه من ربه. فجاء فيه قوله عز وجل:" مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ" ورقص قلبي فرحاً وكاد الفرح يستفزني فأتصرف بخفة الفرح لولا مهابة الموقف الذي وجدت نفسي فيه.

صوت (1): إنها شهادة عظيمة يا عمار قد رفعتك مكاناً عليّاً وميزتك من قرنائك.. إنك والله لتستحق عليها أعظم التهنئة. تعال نصلي معاً صلاة الشكر على ما أفاءه الله عليك من الخير وما أصابك من العفو والغفران..

نقلة موسيقية.....

خالد: أما وقد حدثتنا حديث عمار بين ياسر رضي الله عنه ألا ترى يا أستاذ أنه كان يكون خيراً له لو فعل فعل أبويه وأصر على رفضه لما طلبه منه السادة من مشركي قريش؟

مساعد: من الممكن أيها الأبناء أن يناقش هذا الموضوع من وجهات متعددة.

جاسم: فكيف ذلك يا أستاذ مساعد؟

مساعد: إذا كانت الأمور بنتائجها فإن الموقف الذي اضطر عمار إلى اتخاذه لينقذ حياته في الوقت الذي يجد في قلبه طمأنينة الإيمان قد بدأت بعده حياة حافلة بالصبر والبطولة والتضحية في سبيل الله والصدق والاستقامة والعفاف. فقد استمر رضي الله عنه منافحاً عن دين الله ومجاهداً في سبيل ما يعتقد أنه الحق حتى سقط شهيداً وهو في الثمانين من عمره. إن العفو الذي أصابه يومذاك وهو في سن الفتوة قد كشف عن الثراء في روحه والعمق في إيمانه والطهارة في خلقه..

خالد: وما هي الوجهة الثانية؟

مساعد: أما الوجهة الثانية فهي تظهر في أن ما جرت به المقادير على عمار رضي الله عنه كان درساً للمسلم الذي يمتحن في دينه ويصب عليه من العذاب ما لا تحتمله الأجسام. فجاء الوحي من السماء يطرح الرخصة أمامه ويتيح له أن يظهر ما يريده عدو الله حين هو يخفي إيمانه الحقيقي. ويجب ألا ننسى أن بقاء المسلم حيا مع احتفاظه بالإيمان في قلبه في المواقف الحرجة هو قوة للاستسلام في غير هذا الموقف.

سعيد: لعل ما تقوله يا أستاذ مساعد أن يجد مصداقه في قول النبي عليه السلام: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى. فإذا صحّت النية ورافقها العزم فقد رضي الله عز وجل عن عبده المؤمن لا سيما وأن الإيمان نور في القلب قبل أن يكون حركات في الجوارح..

خالد: هذا الحديث النبوي الشريف يذكرنا بحديث آخر جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم: " إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه " أفلا يعني هذا أن الله يرخص لعبده أن يفعل ما فعله عمار بن ياسر حين يتعرض لأحد اختيارين الموت أو التظاهر بالكفر؟

مساعد: بلى يا خالد شرط أن يبذل وسعه من الصبر والصمود والجهاد. فإذا جاوز الضيق حدود الاحتمال البشري جاز له أن يفعل فعل عمار رضي الله عنه لا سيما وأن الله عز وجل يقول في محكم تنزيله: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ .."

سعيد: لكننا هنا نجد أنفسنا أمام تحفظ شديد.

مساعد: وما هو يا سعيد؟

سعيد: إن أخوَف ما نخاف في مثل هذه الحالة أن يصور الخوف عند المؤمن الضعيف أن ما يتعرض له من الاضطهاد والضيق يفرض عليه أن يفعل فعل عمار.

مساعد: أيها الأبناء هذا أمر يقضي فيه الله عز وجل بقضائه.. فمن الطبيعي أن يكون صمود المؤمن الضعيف أقل من صمود المؤمن القوي.. لكن الموقف الذي لا تسامح فيه هو موقف المقاتل المسلم في ميدان الحرب التي يدافع فيها عن دينه وأرضه وأسرته.

خالد: فماذا تقصد بذلك يا أستاذ مساعد؟

مساعد: اقصد به يا خالد الموقف في الحرب. ففي الحرب لا تساهل مع المقاتل المسلم مصداق ذلك قوله عز وجل في سورة الأنفال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16)....هذه الآية يتبين لكم أنّ التراجع أو الهزيمة أمام العدو في الحرب التي تخوضون غمراتها دفاعاً عن دين الله هو جريمة لا تغتفر أن من ينهزم جبنا وخورا يبوء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.

خالد: هل نفهم من هذا الكلام أن رخصة العفو التي نزلت في حادث عمار بن ياسر لا تصح إلا فيما هو شبيه بهذا الحادث بالذات. أي حين يكون المؤمنون قلة مستضعفة معزولة محكوم على أفرادها أن يموتوا دون أن يكون لموتهم دور في خدمة الدين وإعلاء شأنه.

مساعد: بلى يا خالد: ولعل هذه الحقيقة أن تظهر عندما نعلم بعض تعاليم القرآن في مواقف القتال. فقد جاء في سورة النساء قوله عز وجل: " وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ."

خالد: هذا النص القرآني يقودنا إلى شيء آخر.

مساعد: قبل أن تحدثنا عما خطر في بالك أحب أن أقول أن هذا النص القرآني واضح في حض المسلمين على مواجهة أخطار الحرب والسعي إلى مقاتلة أعداء الله لا سيما وأنّ الطرفين يتعرضان للألم نفسه وللأخطار نفسها ويتميز الطرف المسلم في أنه يرجو من الله الثواب والغفران وجنات النعيم في الوقت الذي لا يرجو الطرف الآخر مثل ذلك.

سعيد: صدقت يا استاذ مساعد.. فهل يمكن أن نتعرف إلى خاطرة أخينا خالد؟

مساعد: بكل سرور يا سعيد.. قل لنا يا خالد ما عندك.

خالد: يبدو لي يا أستاذ مساعد أن نسبة معينة من موازين القوى يفرض فيها على المسلم معها أن يواجه أخطار الحرب. فإذا لم تتوفر هذه النسبة جاز له أن يتراجع.

مساعد: هل تفصح عن ذلك أكثر فأكثر؟

خالد: إذا عدنا إلى كتاب الله وجدنا قول الله فيه: "يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ"

مساعد: أحسنت إذ ذكرتنا بهاتين الآيتين.. لقد صدق أخوكم خالد حين قال أن رخصة التراجع أمام العدو تتحقق إذا تجاوز نسبة اثنين إلى واحد بعد أن كانت قبل ذلك نسبة عشرة إلى واحد. والرخصة هنا واضحة كما ترون في قوله عز وجل: " الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ.."

سعيد: لكن ألا ترى يا أستاذ مساعد أنّ الاستشهاد في المعارك يبقى المصير الأكرم للمؤمن؟

مساعد: هذا صحيح ما لم تكن النسب متباينة جداً. ولعل ما جرى في معركة مؤتة حين تراجع خالد بن الوليد رضي الله عنه بالجيش الإسلامي أمام الجيش المعادي الكبير ثم لم يقل فيه الرسول عليه السلام وفي جنده إلا خيراً وسمّاه " سيف الله " أن يكون الآية والعلامة على آداب المسلم وأبعاد الصبر والصمود اللذين يتصلان بالحكمة في التدبير والبراعة في القيادة.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله..

موسيقى نهاية.....